

وفي حدود ما وصل إلينا من آثار العلماء الذين عُنوا بقضية الإعجاز البلاغى للقرآن يمكن القول بأن الخطأ كان من أوائل الذين أخوا إلى فكرة النظم ، وحاول تحليل بعض الآيات على أساس فهمه لها ؛ وبمقتضى هذا الفهم ذهب إلى أن الكلام يقوم بعناصر ثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم . « وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه » ثم يقول : « واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمناً أصح المعاني »<sup>(٧٩)</sup> ، ويعود الخطأ مرة أخرى إلى هذه الفكرة مؤكداً قيام الإعجاز على الأمور الثلاثة السابقة مجتمعة ، وأن توافرها معا لا يتأتى لبشر<sup>(٨٠)</sup> .

والمعيار الذى تقاس به البلاغة بعناصرها الثلاثة السابقة هو أن توضع كل لفظة في موضعها الأخص بها من الكلام ، بحيث إذا تبدل مكانها ترتب على ذلك أحد أمرين : إما تغير المعنى الذى يفضى إلى فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة . ويوضح الخطأ ذلك بأن في اللغة ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متسلوية في إفادة المراد كالعلم والمعرفة ، والبخل والشح ، و « بلى » و « نعم » و « من » و « عن » .. الخ ، والحال أن لكل لفظة منها خاصية تميز بها عن صاحبها في بعض معانيها ، وإن كانا يشتركان في بعضها . وهناك الكثير من أساليب القرآن التى يكشف تأملها - في ضوء القاعدة السابقة - عن دقة بالغة في النظم إلى الحد الذى خفى أمره على بعض أرباب الفقه والعلم من المتقدمين ، فقد روى عن مالك بن دينار أنه قال : جمعنا الحسن لعرض المصاحف أنا ، وأبا العالية الرياحى ، ونصر بن عاصم الليثى ، وعاصم الجحدري ، فقال رجل : يا أبا العالية قول الله تعالى في كتابه : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ [ الماعون : ٥ ] ما هذا السهو ؟

(٧٩) بيان إعجاز القرآن ص ٢٧ .

(٨٠) انظر السابق ص ٣٥ - ٣٦ .